

## مضاعفات قضية لاجئة بقيت في سورية - علي بدوان، منقول عن جدعون ليفي



ШАБЛОНЫ SHAPE5  
ШАБЛОНЫ ОНЛАЙН МАГАЗИНОВ JOOMLA

جدعون ليفي

صحيفة هآرتس، العدد الصادر صباح الأربعاء

27/2/2013

مضاعفات قضية لاجئة بقيت في سورية :

معرض تشكيلي في حيفا تحية لمخيم اليرموك تحت  
عنوان (لفتة عطف على لطفية أختي في مخيم  
اليرموك)

اليكم صورة طفولة: وهي صورة ولد يمك بيد أمه  
ويقف الى جانبيهما أخواته وإخوته الأربعة. والمكان:  
مخيم لاجئين قرب دمشق. والسنة: 1950. فالى هنا



فرت عائلة عابدي من بيتها في حيفا بعد ان سقطت هذه في يد الهاغاناة. واليكم صورة اخرى أكثر تأخرا: وهي صورة أبناء العائلة  
جميعا الذين شاخوا منذ ذلك الحين حول أختهم لطفية، وهي عجوز تتوكأ على عكاز في نقاب ابيض. وقد صورت هذه الصورة قبل  
بضع سنوات في عمان في واحد من اللقاءات النادرة لأبناء العائلة التي مُزقت في سنة 1951. آنذ أتاحت لهم إسرائيل العودة الى  
بلدهم لكن حُكم على لطفية ان تبقى لاجئة في مخيم اليرموك قرب دمشق مقطوعة ما بقي من عمرها عن وطنها ومدينتها ومناظر  
طفولتها وأخوتها وأخواتها.

والآن مع تصاعد الحرب الأهلية الفظيعة في سوريا، وقد أصبحت مخيمات اللاجئين الفلسطينية هدفا للطرفين، يخشى أبناء العائلة في  
حيفا على مصير أختهم العجوز. فقد أصبحت لطفية في الرابعة والثمانين ويبدو انه لا سبيل ألبتة لانقاذها ونقلها الى مكان آمن في  
بلدها.

يقوم بهذا النضال أخوها عبد عابدي وهو فنان حيفاوي فلسطيني نال جوائز، وهو العزيز على مدينة حيفا. ولم يستعمل العابدي الى  
الآن أي شيء عملي لانقاذ أخته. انه يقول ان نضاله ليس شخصا بل هو قومي لكن مصير أخته يقلقه جدا. وان حقيقة ان مواطن  
الدولة لا يستطيع ان ينفذ أخته التي تتعرض حياتها للخطر وان يأتي بها الى وطنها لأنها عربية غير يهودية فقط، تثير افكارا صعبة.

بعد بضعة اسابيع سيفتتح معرض لاعمال العابدي في 'بيت هغيفن' في مدينته تحت عنوان 'لفتة عطف على لطفية أختي في مخيم  
اليرموك'. وأما المعرض الذي سيفتتح في 17 أيار فترعاه ابيلىت زوهر.

كان العابدي يدأب هذا الاسبوع ايضا في الاستوديو الخاص به في واحد من الاعمال سيُعرض في المعرض وفي مركزه صورة ستوديو  
بالاسود والابيض للطفية من سنة 1967 في دمشق، ويحيط كيس خيش بالصورة. ان أكياس الخيش تؤدي دورا هامافي اعمال  
العابدي: فهي تُذكره بصورتها ورائحتها لصفوف طفولته أمام أكياس اغاثة منظمة الغوث الدولية في مخيم اللاجئين في دمشق.

وكان مصير العابدي حسنا فعاش ثلاث سنوات فقط لاجنا، أما لطفية فهي لاجئة منذ 65 سنة وقد اضطرت في الفترة الاخيرة ايضا الى  
الفرار من بيتها في المخيم بسبب فظائع الحرب والى ان تختبئ في شقة ابنتها في دمشق. وهي تتحدث من هناك بين الفينة والاخرى  
بالاتف مع أخواتها في حيفا. وقد ساءت حالتها الصحية في الفترة الاخيرة.

يشير لوح حجري قديم الى استوديو العابدي وهو بيت حجري مذهل عند أطراف بستان فاكهة مهمل في شارع يصعد الى الكرمل  
ويسمى الآن 'شدروت هتسينوت' (جادة الصهيونية). وقد نقش في اللوح الحجري عنوان قديم باللغة الالمانية: 'الى حديقة الراهبة

إيما، وهو تذكير بأيام كان فيها هذا البيت يخدم راهبات المانيات وكان المبنى المجاور يُستعمل مستشفى حكوميا للبريطانيين وفيه ولدت لطفية.

ان البيت الذي يقع فيه الاستوديو وهو ملك للكنيسة الانجليكانية، قد استعمل في الماضي مكاتب لاصدار الكتب العربية لـ إميل حبيبي. وكانت الطاولة في مركزه هي طاولة حبيبي. ويستعمل البيت الآن استوديو للعابدي. وهو في الواحدة والسبعين من عمره نشيط يبدو أفتى من عمره واللغة العبرية على لسانه فصيحة. كان طوال سنواته نشيطا في الحزب الشيوعي. وزوجته هنغارية (غير يهودية) واسمها يهوديت. وهما يتحدثان باللغة الالمانية، لغتهما المشتركة وهي تذكير بالايام التي كانا فيها في طالبين في درزدين في المانيا الشرقية (التي كانت شيوعية في الماضي).

حينما جاءت يهوديت الى البلاد في سنة 1971 متابعة لزوجها، وهي في الشهر التاسع من حملها، ظنهما موظفو الحدود في المطار يهودية. فاسمها يهوديت واسم أبيها يوسف وحينما سألوها عن ديانتها قالت انها اصلحية. وعرض عليها الموظفون فورا سلة استيعاب هجرة سخية وشقة في نتانيا الى ان قالت ان زوجها يسمى عبد الرحمن عابدي. فتم تمزيق جميع المستندات التي ملأتها دفعة واحدة وألغيت جميع مقترحات الشقة وسلة استيعاب الهجرة وأرسلت الى وجهها دون أية مساعدة.

درس العابدي سبع سنوات في المعهد العالي للفنون في درزدين على يد المدرسة لينا غرونديغ وهي لاجئة مثله فقد كانت المانية شيوعية فرت مع زوجها اليهودي خشية النازية الى ارض اسرائيل. وبقيت هنا ست سنوات وعادت الى المانيا الشرقية؛ وفر هو من ارض اسرائيل، من الاحتلال الصهيوني الى ان عاد الى البلاد وخرج ليدرس في المانيا.

### زيارات صيفية

يقع ستوديو العابدي في الجادة الصهيونية وكان بيت العائلة الأصلي يقع في شارع يسمى اليوم 'شيفات تسيون' (عودة صهيون). ولم يبق شيء منه. وكان شقيق جد العابدي، عبد الرحمن الحاج، يتولى رئاسة بلدية حيفا في عشرينيات القرن الماضي.

في الثاني والعشرين من نيسان 1948 حينما سقطت المدينة كما يقول العابدي فر منها كل سكانها الفلسطينيين تقريبا. وهرب العابدي ابن السادسة ايضا مع أمه وأخواته وإخوته. وأصر الوالد قاسم على البقاء في المدينة. ويذكر العابدي ان أباه استلقى على الارض وصاح بهم ألا يغادروا لكن الأم كانت هي الشخصية المهيمنة بسبب الطبقة الاجتماعية التي كانت أعلى والتي جاءت منها وأصرت على الفرار.

ركبت الأم وأبنائها مدمرة بريطانية نقلتهم من ميناء حيفا الى عكا وأبحروا من هناك في سفينة مضضعة الاركان الى بيروت. وكانوا على يقين من أنه سيُسمح لهم بالعودة بعد اسبوعين أو ثلاثة. ومكثوا نحو من شهرين في مخيم اللاجئين الكرنتينا في بيروت ونقلوا من هناك الى مخيم اللاجئين فيه قرب صيدا.

وكانت لطفية التي هي البنت البكر قد تزوجت آنذاك بشاب من قرية قرب طولكرم. وأرسلت هي وزوجها الى مخيم لاجئين في دمشق. وفي ذات صباح حُمل الباقيون جميعا تقريبا من اولاد العائلة الصغار بالقوة في حافلة كان يفترض ان تأخذهم الى مخيم آخر في سوريا أو في العراق. ولم ينقذهم سوى بكانهم وحقيقة ان أهم لم تكن معهم في تلك اللحظة. وبعد نحو من سنة ونصف فروا هم ايضا من المخيم في صيدا الى دمشق، الى لطفية وزوجها. وقد سكنوا في البدء في مسجد مهجور وانتقلوا بعد ذلك الى مخيم اللاجئين ومكثوا في دمشق أكثر من سنة.

وفي سنة 1951 نجح والد العائلة بفضل علاقاته التجارية القديمة باليهود (كان تاجر خيول وأبقار) في الحصول على تصاريح عودة لزوجته وأبنائه اعتمادا على لم الشمل. ومنعت عودة لطفية لأنها كانت متزوجة. وعاد الفتى العابدي الى حضان أبيه والى بلده عن طريق لبنان وممر رأس الناقورة وهو هنا منذ ذلك الحين في حيفا مدينته، وبقيت لطفية متخلفة عنهم. واستمر بعد ذلك سنين طويلة الى ان يتقابل مرة اخرى.

في سبعينيات القرن الماضي حينما استعملت سياسة موشيه ديان 'الزيارات الصيفية' جاءت لطفية في اول زيارة لها للبلاد. وكانوا حتى ذلك الحين يرسلون اليها التحيات عن طريق إذاعة صوت اسرائيل بالعربية وراسلوا بين الآن والآخر بواسطة منظمة الصليب الاحمر الدولي.

وقد زارت هنا منذ ذلك الحين ثلاث مرات أو اربعا واضطرت دائما الى العودة الى اليرموك حيث كان قد ولد لها حتى ذلك الحين ابناؤها وبناتها الـ 11. وبعد التوقيع على اتفاق السلام مع الاردن، التقى أبناء العائلة في عمان وسافرت أختا العابدي مرة واحدة الى دمشق للقاء أختهما في اطار الزيارات التي نظمها عزمي بشارة في حينه. وان الصورة في الألبوم العائلي لهاتين الأختين عن جانبي لطفية يقبلان خديها تؤثر في القلب.

#### مسألة انسانية

منذ زمن غير بعيد حمل أبناء لطفية على اليو تيوب مقابلة أجروها معها عن طفولتها. يقول العابدي ان حياتها كلها قد دارت حول الشوق الى حيفا. وقبل نحو من شهرين كتب أحد أبنائها في صفحته على الفيس بوك ان أمه قد اضطرت الى مغادرة بيتها بعد ان قصف مخيم اليرموك قسفا شديدا ووجدت ملجأ في شقة واحدة من بناتها فرت الى المانيا.

'أغضبني هذا'، يقول العابدي في ستوديوه. 'سألت نفسي: كيف يمكن ان تضطر مولودة في حيفا في الرابعة والثمانين من عمرها ولد أبوها وجدها وجد جدها هنا ولم تتلخ أيديهم بالدماء كما يقولون، الى ان تجري عليها كل هذه المعاناة وان تصبح لاجئة في بلد ليس بلدها وهي الآن ايضا معرضة للخطر بسبب الحرب.

'كنت أريد ان أثير الرأي العام في اسرائيل لينتبه الى وضعها ووضع كل اللاجئين الفلسطينيين. فهذه مسألة انسانية ومصير امرأة في الرابعة والثمانين تبلغ الى هذه الحال. لكن نضالي يرمي الى اثاره صيحة كل اللاجئين الذين في وضعها'.  
يحيا ابنا العابدي اليوم في بودابست في هنغاريا والثالث في حيفا. وقد عمل مدة 11 سنة مصورا ومشكلا لصحف بالعربية ولعدد من كتب حبيبي ايضا.

وكان ايضا عضوا نشيطا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي. وبقي مشجعا للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة. وقد درّس الفن في مؤسسات تربوية كثيرة في البلاد وعرض اعماله في معارض أفراد في البلاد وفي العالم.  
وفي سنة 1977 أقام نصب يوم الارض في سخنين مع صديقه الفنان الاسرائيلي غرشون كنسبل.  
ان العابدي هو الفنان العربي الاسرائيلي الاول الذي فاز بجائزة وزيرة العلوم والثقافة والرياضة في سنة 2008. وقد شبّهت لجنة الجائزة اعماله بأعمال ناحوم غوتمان. وقد صدر منذ زمن غير بعيد فهرس رائع عن معرض الفنون في أم الفحم وبتحرير تال بن تسفي يلخص 50 سنة ابداع له.

<http://alkader.net/jomla/index.php/2013-01-01-21-47-34/1713-2013-03-01-04-56-26.html>

ТЕКСТИЛЬ ДЛЯ ДОМА, ВЫШИВКА, ФУРНИТУРА, ТКАНИ  
АВТОНОВОСТИ